



جلجامش

المحمة الشعرية الأكادية المغناة

كمرجعية شعرية عروضية للشعر الإنساني

◀◀ بقلم: إدوار شمعون

هي أعظم الملاحم الشعرية المغناة، التي عرفتها البشرية وأقدمها. وقد أبدعها الإنسان الأكادي. شعراً في أرض الرافدين منذ أقدم العصور. فنظمها أناشيد تنغني بالكون والخلق، والموت والحياة، والخير والشر، والخلود والفناء، وغيرها من أسرار الطبيعة والوجود. وأنشدها على ألسنة أبطالها: جلجامش وأنكيبدو وعشتار وأوتونبيشتم وسيدوري وغيرهم. فردها الشعب في صلواته واحتفالاته بمصاحبة آلاته الموسيقية الوترية والنفخية والإيقاعية، كالكنارة والقيثارة والصنج والعود والقرن والناي والطبل، والطبلة والدف، الخ.

وظلت هكذا تتطور لغة ونموا وإقاعاً، خلال عشرات القرون، حتى ابتكرت الكتابة فنقشت باللغة الأكادية البابلية، وبالخط المسامري، على اثني عشر لوحاً حجرياً، وذلك منذ حوالي خمس وعشرين قرناً قبل الميلاد، ونقش على كل لوح منها نشيد له موضوعه الخاص، فلوح جلجامش، ولوحي إنكيديو، وثالث لصارعهما مع الوحش خبابا، ورابع للنزول إلى العالم الأسفل، وهكذا حتى اللوح الثاني عشر.

لقد عثر المتفنون على تلك الألواح، في مكتبة الآشوري، آشور بني بال (٦٦٨-٦٢٦) ق.م في نينوى، منتصف القرن التاسع عشر ولم تكن تلك الألواح، الألواح الوحيدة، التي عثر عليها، فهذه الملحمة العظيمة، التي سرت في كافة أرجاء سوريا الطبيعية، وكانت مبعث الإلهام لكل ملحمة كتبت بعدها، وعثر أيضاً على بضعة ألواح منها، كاملة أو مخرومة، في أماكن متفرقة، من أرض الرافدين، وفي تل الحرمل وحران بشمال سوريا، وفي مجدو بفلسطين، وهذه ساعدت مجموعة من العلماء والباحثين على تلافي النقص الحاصل، وفي السطور المخرومة، ومن الملحمة الخالدة، لدى مقارنتها بمثيلاتها الكاملة، حتى أنه يمكن القول، إن ملحمة جلجامش، وصلتنا بكامل ألواحها، منذ آلاف السنين، سالمة نصاً وروحاً، بشكل أفضل من الكتب والمخطوطات والأوراق والوثائق المكتوبة، بخط اليد على ورق أو جلد والتي تحتوي أحياناً على شطب أو طمس أو تصحيف، بشكل مقصود، أو غير مقصود من قبل ناسخها أو مالكها.

لقد قدر بعض الباحثين، عمر هذه الملحمة، بخمسة وأربعين قرناً، وذلك اعتباراً من تاريخ نقشها على الألواح الحجرية، بأمر من الملك الآشوري العظيم هذا، وهكذا يكون قد أنقصوا عمرها بمقدار النصف على أقل تقدير، فمن غير المعقول، أن يكون تاريخ تأليفها شعراً ولحناً، هو تاريخ نقشها على الألواح الحجرية، بل إنه يرجع حتماً، إلى بداية عصر وجود الإنسان، على أرض الرافدين، وبدء تفكيره في مشكلات وجوده عليها، وإعطاءه الأجوبة، على المشكلات العويصة، بهذه الأناشيد البديعة، كما أن تسمية هذه الملحمة بالأسطورة، كان خطأ آخر، ارتكبه بحفظها هؤلاء، بسبب أن عرض بعض أحداثها ووصف شخصياتها، كان يشوبه أحياناً أسلوب أسطوري، وذلك لكي يخاطب العقلية الأسطورية للناس آنذاك، ومن ذلك: أن جلجامش كان ثلثاً إلهاً وثلثاً الآخر بشراً، أو أن (ونزل الثور السماوي وهو ينشر الرعب والفرع وقضى في أول خوار له على مائة رجل ثم مائتين وثلاثمائة). ولكن أي قدر أحد أن ينكر أن الطوفان، الذي كانت هذه الملحمة، أول من ذكره بدقة ووضوح، كان حدثاً حقيقياً، جرى في زمن ما بأرض الرافدين، وذكرته الكتب السماوية، وأكدت الأبحاث العلمية، ونحن لدى قراءتنا النص التالي فيها (وغسلت أورورو يديها، وأخذت قبضة طين ورمتها في البرية، وخلقت إنكيديو الصنديد)، ألا تذكر موضوع خلق آدم، كما هو وارد في التعاليم والكتب السماوية؟..

إن مما لا شك فيه، أن جلجامش، بطل هذه الملحمة، وحاكم الوركاء، قد أسبغت هذه الملحمة عليه، هالة من الألوهية والبطولة، ولكن من المؤكد أن جلجامش هذا (كان أحد حكام المدن السومرية، في مطلع العصر المسمى بعصر فجر السلاطات ٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م ولعله من أواخر جمدة نصر، وأنه حكم في الوركاء) و (وأن اسمه ورد في نبت ملوك السومريين من سلالة الوركاء الأولى، وهي السلالة الثانية، التي حكمت بعد الطوفان، وكانت سلالة كيش أول سلالة حكمت بعد حادثة الطوفان مباشرة، وفي حكمه في سلالة الوركاء الأولى، خامس ملك).

إن انتشار هذه الملحمة في جوانب أرض الرافدين، وفي كامل سوريا الطبيعية، وفي أوروبا والعالم كله بعد ذلك، كان بسبب انتظامها أناشيد بديعة النظم ساحرة الألفان، تجيب بمنطق معقول، على تساؤلات العقل البشري، إزاء معضلة وجود الإنسان ومستقبله، وظواهر الطبيعة الغامضة المحيطة به، ولكونها كتبت، باللهجة الأكادية البابلية، في أرض الرافدين، وفي كامل سوريا كالأشورية والبابلية والكلدانية والسريانية والكنعانية والتدمرية والنبطية والعدنانية، وغيرها، كما وساعد انتشارها إنشادها على كثارة أور الخالدة، وغيرها من الآلات الموسيقية الراقدية بذات المقامات التي سميت بأسماء أوتارها، اعتباراً من الوتر الأول الرخيم الغليظ، وانتهاءً بالوتر السابع الرفيع الأكثر شفاقية وحد، وهي:

إيشاتو وكبتمو وأمبوبو، ويتو ويند قبليت ونيش كاباري وقبليتو، والتي عرفت فيما بعد، بأسمائها السريانية والعربية وبذات النغمات والأوتار: البيا، البياتي، والهوسونو: الحسيني، والأوراك: العراقي، والرازد: الراسن، والأوجو: الأوج، والصبا: الصبا، والحاجو: الحجاز، كما أصبحت لها تسميات عدنانية مرتبطة بأسماء بحور الشعر العربي الفصيح (القرص): طويل بالخصر بسيط بالينصر زمل في مجرى الوسط، وذلك بحسب ما ورد مراراً وتكراراً في كتب الأغاني للأصفهاني وعلى درجات مقامية محددة من العود أو القانون أو سواهما من الآلات الموسيقية الراقدية، لقد ورد شعر أناشيد ملحمة جلجامش، أكادياً مرسلأ وموزوناً ومعنى بلا قافية، تختلف أبياته في تفعيلتها (/ ٥) فع من بيت لآخر، فمرة ترد أشعاره سباعية ومرة ثمانية إلخ...

حتى اثني عشر تفعيلية وأكثر، وعلى هيئة الدويست (بيتين من الشعر) أو الرباعيات (أربع أبيات). وارتفاق الشعر

بالمقامات والمقامات بالشعر، سمة بيّنة من طبيعة الشعر الرافدي، منذ بداياته الأولى في ملحمة جلجاميش، ومروراً بالتراتيل السريانية التي انطلقت إلى الدنيا، تؤكد ذلك الرقم المكتشفة في حواضر سوريا القديمة، والتي نلقت على بعضها الأناشيد والتراتيل، مدونة بالكلمة والنغمة معاً.

وهذه الملحمة الشعرية التي أثرت أبلغ الأثر في ملاحم وأشعار البشرية جمعاء كالإلياذة والأوديسا، ورسالة الغفران والكمبوديا الإلهية وغيرها، وذلك من خلال أفكارها ومقاماتها وإيقاعاتها الشعرية، وصلت بواسطة التراتيل السريانية هذه إلى أوروبا، وكل بقاع الدنيا، بدءاً من القرن الرابع الميلادي، عبر بلاد الإغريق واللاتين، بعدما نقلها إليهم في القسطنطينية، الراهب السوري، يوحنا الذهبي الفم (٣٤٤-٤٠٧) ق.م، ونقلها إليهم في ميلانو الراهب أمبروسوس (٣٣٤-٣٩٨) ق.م كما ذكر المؤرخ السوري تيودوريت، أسقف سورية وراهب أفاميا، واستمرت الأئم التي دخلت في الدين المسيح السوري، على ممارسة شعائرها الدينية، بهذه الصلوات والتراتيل، بذات لغتها وأبجديتها الآرامية السورية، أي السريانية، ولقد أشرنا إلى ذلك في دراستنا السابقة التي نشرناها في جريدة البعث، عن أثر الشعر السوري السرياني في الأشعار الفرنسية ١٥/١/٢٠٠١، وفي الأشعار الإنجليزية ٢/١١/٢٠٠١، وفي الأشعار الإسبانية ٢٥/٨/٢٠٠٢.

لقد صرح^{١٥} البابا بندكتس الخامس في براءته الرسولية، التي أذاعها بمناسبة إعلانه الفديس أفرام ملقانا (معلماً) للكنيسة الجامعة في روما بتاريخ ٥ ت ١٩٢٠: وفي وسعنا أن نقرر بأن أناشيد الطقوس الموزونة، فقد اقتضت عن مار (السيد) أفرام السرياني، وعنه نقل يوحنا الذهبي الفم إلى القسطنطينية، ومار أمبروسوس إلى ميلانو، ومنها ذاعت إلى الأقطار الإيطالية، وفي عهد مار غريغوريوس الكبير، (٦٠٤)م بلغت منتهى الرويق إلى أفرام السرياني، الذي كان أول من ابتكر فن الموسيقى السبعة، وعنه نقل آباء اليونان واللاتين، وما احتاجت الأئم الأوروبية، إلى فهم أكبر لديانتها السورية هذه، ترجمت هذه الطقوس والتراتيل والأناشيد إلى لغاتها الخاصة، ولكنها لم تستطع إلا أن تبقى على أبجديتها السورية وأوزانها ومقاماتها ثم استقلت هذه الأناشيد والتراتيل شيئاً فشيئاً، عن مواضعها الدينية، وانجهدت إلى مواضيع إنسانية أخرى كحب الوطن والإنسان والبطولة والعشق والكرامة والعباد والهجرات، وغير ذلك من المواضيع الإنسانية، فكان ذلك إيذاناً بمولد الشعر الخطيقي لدى مجيء الموسيقار الألماني يوهان باخ في منتصف القرن السابع عشر، الذي اقتصر كل مقامات الموسيقى بألوانه التعبيرية اللامتناهية، على مقامين اثنين منا هما: النهاوند (الينور)، والعجم (الماجور).

واستمر الشعر العربي العدناني، في بحره الشعري الحبيب، على ذات الإيقاع فع أي حركة وسكون /٥/. بشماني تفعيلات لكل من الصدر والعجز، ليت الشعر الواحد، لكنه تطور إيقاعياً في نظم وأوزان، بحوره الشعرية الأخرى، البالغة ستة عشر بحراً، وعلى أوزان مختلفة: مستعلن وفاعلاتن ومفاعيلن ومفاعلاتن وفع لن وغيرها، وكلها منشدة بمقامات مخصوصة، وعلى درجات منها معلومة، مشار إليها عرقاً على العود، أو منشدة بلا مراوفاة آلة موسيقية، وما هو مسموع الآن من قصائد مفاة، نظمها فلان ووضع لحنها آخر، مخالف لإصول تأليف وإنشاد الشعر العربي والرافدي، المنظوم والنشدة، بطبيعة كلمته التي تعني ونغمته التي تتكلم، وذلك اعتباراً من أصوله الأكادية والسريانية وحتى القريض العدناني، والزجل الشعبي للمنظوم بلغة محكية، بحسب بحور الشعر العربي وألحانه المتداولة، وخير من سار على النهج الأصل الرهبان السوريون وشعراء الجاهلية والإسلام، حتى دخول العثمانيين إلى البلاد العربية، وكان أفضل من بقي أميناً على هذه الأصول، في عصرنا هذا أبو خليل القباني وعمر البطش والرحبانيان وعبد الغني الشيخ وزكي ناصيف وغيرهم ممن تخلدت أعمالهم في سفر الغناء العربي الأصيل.

ونستعرض الآن، أشعاراً من أناشيد هذه الملحمة الأكادية الفريدة، بحسب أطوالها الشعرية، اعتباراً من البحر السباعي، وحتى البحر الاثني عشري، ونقارنها بأشعار تقابلها عروضياً من بحور شعرية سريانية وقريضية وزجلية، ثم نقارنها أيضاً بأبيات شعرية متخة أوروبية: يونانية وفرنسية وإنجليزية وإسبانية.

فعلى وزن البحر السباعي التفعيلة فع /٥/ أي حركة وسكون، تنشدة صاحبة الحانة لجلجاميش بيت الشعر التالي: لو أو بوزو باتوكا يعني: فلتظهر ثوبك، والذي يكون تفضيحه عروضياً:

كا	تو	با	زو	بو	اب	لو
----	----	----	----	----	----	----

وعلى هذا الوزن والبحر يأتي بيت الشعر السرياني: لمار أفرام السرياني:

موران إتراحام علين موران قابل تشمستان، ومعناه يا رب ارحمنا وتقبل خدمتنا وتفضيحه:

لين	مع	حا	را	نت	را	مو
فع	لن	فع	لن	فع	لن	فع

وكما يقول مار أفرام السرياني باللهجة الكلدو آشورية:
 لخل له عل ما من ساخة كاروزة مباق خزيرة
 ومعناه: إلى العالم خرج الكارزون أقوىاء.

خة	سا	من	ما	عل	له	لخل
زة	زي	خز	باق	زم	رو	كا

وكذلك يأتي وزن وبحر هذه الأغنية الشعبية من الزجل الفرادي الساعمي:
 مرحبتين ومرحبتين وين هالديكة وين، وتقطعها على التفعيلة هو:

تين	حب	مر	نو	تي	حب	مر
-----	----	----	----	----	----	----

وباليونانية: **Oparekhon to kosmo**، ومعناه: المانع للعالم بك الرحمة العظمى، وتقطعها:

mo	kos	to	khon	re	pa	O
----	-----	----	------	----	----	---

وعلى ذات البحر الشعري والوزن بيت الشعر الفرنسي:

Plutot souffrir que mourir C'est la devise des homes

الترجمة: الأفضل أن تألم من أن تموت هذا هو شعار الرجال، وتقطعها على تفعيلة فع هو:

rir	mou	que	rir	souff	tot	Plus
-----	-----	-----	-----	-------	-----	------

وكذلك بيت الشعر الإنجليزي من قصيدة النمر: **The tiger**:

Tiger Tiger burning bright, in the forests of the night

ومعناها: أيها النمر المألّق في غابات الليل، وتقطع بيت منها على التفعيلة هو:

bright	ning	bur	ger	ti	ger	ti
--------	------	-----	-----	----	-----	----

وكذلك بيت الشعر الإسباني: **madre del alma mia que viejecita eres** ومعناها:

أم روحي العجوز الصغيرة، وتقطع بيت منها على التفعيلة هو:

la	mi	ma	al	del	re	Mad
----	----	----	----	-----	----	-----

وعلى وزن البحر الثماني التفعيلة فع نأخذ من ملحمة جلجاميش البيت الشعري الآتي:

(٧) جوزا لاشو نو نيتورتا، ومعناها: وبنورتا مساعدتهم، وتقطع الشعري:

تا	نور	ني	نو	شو	لا	زا	جو
----	-----	----	----	----	----	----	----

وكذلك بيتي الشعر السرياني الثماني التفعيلة:

حب ران ما حب شوب ريقو وعلاو نفضة هو نا فيفو

ومعناها: صديقنا يحب المجد الباطل فجامله بالكلام المعسول، وتقطع أحدهما:

قو	ري	حوس	شوب	حب	ما	ران	حب
----	----	-----	-----	----	----	-----	----

(٨) ولار أفرام باللهجة السريانية الشرقية أي الكلدو آشورية:

مارن إيشوع ملكي زغيدا دزغا بحشة لوتا طرونا

ومعناه: يسوع الملك الذي غلب الموت العاتي، وتقطعها:

نا	غبي	كتر	مل	شوع	إي	رن	ما
نا	طرو	تا	مو	شل	حش	غاب	دز

وعلى ذات الوزن الأغنية: يا صبحه هات الصيبة صبي الشاي ليكي وليا
وتقطيعها الإيقاعي:

يا	صب	حة	ها	تيص	صي	ني
----	----	----	----	-----	----	----

وباليونانية: أيها الرسل من الأقطار A Postli ek peraton

A	pos	to	li	ek	pe	ra	ton
---	-----	----	----	----	----	----	-----

ويقابلها الشعر العربي القريض: إن الدنيا قد غررتنا واستهوتنا واستلهتنا.
وتقطيعه الإيقاعي:

نا	رت	غر	قد	يا	دن	ند	إن
----	----	----	----	----	----	----	----

وبيت شعر فرنسي بذات التفعيلة وعددها: A fond des cieux un point scientille
الترجمة: في عمق السماوات نقطة تتلألأ. وتقطيعه الإيقاعي:

Au	fond	des	cieux	un	point	scien	tile
----	------	-----	-------	----	-------	-------	------

وكذلك بيت الشعر الإسباني: El Dia que tu naciste grandes senales habia
ومعناها: أن يوم مولدك أعطى إشارات، وتقطع أولها الإيقاعي:

El	Di	ia	que	tu	na	ds	te
----	----	----	-----	----	----	----	----

ومن جلعاميش أيضاً نأخذ البيت الشعري التالي ذا التسع تفعيلات فع:
(A) مالك شونو كورادو أن لِّل ومعناه: لقد اجتمعوا ومعهم أنليل، وتقطيعه الشعري:

لِّل	إن	دو	را	كو	نو	شو	لك	ما
------	----	----	----	----	----	----	----	----

ومن الشعر السرياني، وعلى ذات الإيقاع والبحر بيتي الشعر: لمار أفرام السرياني:
وهو ملكوئو قربات منكليو رحوما ودحتو حاور لبو شايبكون
ومعناها:

ها قد اقترب ظهور ملكوت السماوات فيا محبي العروس يفضوا ثيابكم..
وتقطع بيت شعري منهما هو:

يو	كل	مث	ياث	قر	ثو	كو	مل	وهو
----	----	----	-----	----	----	----	----	-----

ومن الكلدو آشوري البيت التشيعايا لمار أفرام:
قب يل وار وقاماره كل لا دوزي وس را باصة مص صد
ومعناه: اقتبل سيد الكل البصاق عليه لا يقدر السرافيم النظر إليه، وتقطيعه:

لا	كل	ره	ما	قا	رو	وا	يل	قب
----	----	----	----	----	----	----	----	----

ومن الزجل السوري الأغنية الشعبية، مرعية يا لبنت مرعية مرعية ولا بلا راعي، وتقطع البيت الأول منها على
هذا الإيقاع هو:

ية	عي	مر	لت	ب	يال	ية	عي	مر
----	----	----	----	---	-----	----	----	----

ومن اليونانية: البيت التساعي Otou para doxou thov matos
ومعناه: يا له من أمر عجيب غريب. وتقطيعه:

ومن الشعر الفرنسي بيتي الشعر ذا التسع تفعيلات:

L'air est plain d'une haleine de roses
Tous les vents tiennent leurs bouches closes

ومعناها: النسيم معطر بأنفاس الزهور إلخ..
وتقطيع أولهما هو:

roses	de	ine	le	ha	dune	lein	estp	Lair
-------	----	-----	----	----	------	------	------	------

ومن الإسبانية بيتي الشعر على هذا الوزن:

Ellas navaja en la liga

ga	li	la	en	Ja	va	na	las	El
----	----	----	----	----	----	----	-----	----

ونعود إلى جلعاميش لتأخذ البيت الشعري التالي ذا العشر تفعيلات فع:
(٩) إي شد لي بت تي شو لا أغورات، ومعناه: وتيقن أليس بناؤها من الأجر؟
وتقطيعه:

رات	غو	آ	لا	شو	تي	بت	لي	شد	إي
-----	----	---	----	----	----	----	----	----	----

ومن ذات الوزن والبحر والبيت الشعري السرياني: سويلو ليشونة دغرو طركنو، ومعناه:
يحتفل رجل النبعة هفوة لساته:

نو	رك	روط	غب	نقد	شو	لي	لو	بي	سو
----	----	-----	----	-----	----	----	----	----	----

(١٠) ولما أفرام السرياني باللهجة الكلدو آشورية ومن ذات الوزن عسرايا (العشري)
آلاها حزا و ادلع وي ذه سع دين
ومعناه: نظر الله إلى الإنسان فوجده يعبد المخلوقات. وتقطيعه:

دين	سع	ذه	وي	لع	واد	زا	هاح	لا	آ
-----	----	----	----	----	-----	----	-----	----	---

ويقاله وزنأ وبحر شعر بيت الشعر الزجلي من الأغنية الشعبية (عم نغزل تحت التينة)، وتقطيعه:

نة	تي	نت	تخ	زل	تغ	عم	زل	تغ	عم
----	----	----	----	----	----	----	----	----	----

ومن اليونانية بترانيم وطبول: Meta khoron ke timpanon to so

ومعناه: يرثمون لأبنك الوحيد. وتقطيعه:

so	to	non	pa	tim	ke	ron	kho	ta	Me
----	----	-----	----	-----	----	-----	-----	----	----

S,en alla comme il etait venu Jean كما يقابله بيت الشعر الفرنسي وزنأ وبحراً:

ومعناه: لقد ذهب جان كما رجع. وتقطيعه:

nu	ve	ait	et	Me	il	com	la	la	S,en	Jean
----	----	-----	----	----	----	-----	----	----	------	------

ويقاله وزنأ وشعراً بيت الشعر الإسباني: manos que sus manos estrechateis

ومعناه: يدها... أية يدين مضمومتين. وتقطيعه:

Teis	cha	re	est	nos	ma	sus	que	nos	ma
------	-----	----	-----	-----	----	-----	-----	-----	----

وكذلك يقابله وزنأ وشعراً بيت الشعر الإنجليزي:

Here rests his head upon the lap of Earth

ومعناه: هنا يضع رأسه على حضن الأرض، وتقطيعه الشعري هو:

Earth	of	lap	the	On	up	head	his	rests	Here
-------	----	-----	-----	----	----	------	-----	-------	------

ومن الوزن الأحد عشري نأخذ بيت الشعر التالي من خطاب صاحبة الحانة لجلجاميش:

(١٠) أو ري أو مو شي سو أر أو مي لي ليل.

ومعناه: افرح وتهلل صباحاً ومساءً، وتقطيعه:

ليل	لي	مي	أو	أر	سو	شي	مو	أو	ري	أو
-----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----

ومن ذات الوزن والبحر بيت الشعر السرياني لمار أفرام السرياني:

شاليطو غير صيونو كادبار حيراو دوف لكيونوث دامة يباذ دوبراوا، ومعناه إن للسلطان الإرادة الحرة، وهكذا الكيان الذي يشابهها بسلوكه، وتقطيعه هو:

راو	حي	بار	كاد	نو	يو	صب	غير	طو	لي	شا
-----	----	-----	-----	----	----	----	-----	----	----	----

وأيضاً الأغنية الزجاجية من ذات الوزن والبحر:

جدلي يم الجدليل جدلي وافرحي واتهني وخلي جد لي، وتقطيعها:

لي	د	جد	يل	دا	ج	مل	يم	لي	د	جد
----	---	----	----	----	---	----	----	----	---	----

ومن اليونانية: Tafos ke nekro sis ouk ekkratisen

ومعناه: لم يضمها قبر ولا موت (عيد مريم العذراء)

sen	ti	ra	kek	ou	sis	ro	nek	ke	fos	Ta
-----	----	----	-----	----	-----	----	-----	----	-----	----

والبيت الشعري الفرنسي كذلك: Les nuages courient sur la lune enflammee

ومعناه: كانت الغيوم تركض فوق القمر المضيء.

وتقطيعه:

mee	flam	en	lune	la	sur	aient	cour	ages	nu	Les
-----	------	----	------	----	-----	-------	------	------	----	-----

وبيت الشعر الإسباني من ذات الوزن والبحر:

Dulce vecino de la verde selva Huesped eterno del abril florido

ومعناه: الجار الناعم من الغابة الخضراء الزائر الخالد لنبسان الزهر، وتقطيعه:

va	sel	de	ver	la	de	no	d	ve	ce	Dul
----	-----	----	-----	----	----	----	---	----	----	-----

ونرجع إلى جلجاميش ونأخذ البيت الشعري التالي المؤلف من اثني عشر تفعيلة:

(١١) قت رو أب أنا أي أن نا شوبا تش تار، ومعناه: اقترب من إي أنا مسكن عشتار، وتقطيعه:

تار	تش	يا	شو	نا	أن		نا	أن	أب	رو	قت
-----	----	----	----	----	----	--	----	----	----	----	----

ومن الكلدو آشوري بيت الشعر لمار أفرام السرياني:

قري لع مانا يم ما رب يم وشخ حط طايا

ومعناه: اقترب إلى العماد البيم العظيم مطهر الخاطئين، وتقطيعه:

يا	طا	حط	وشخ	يم	رب	ما	يم	ذا	لع	قري
----	----	----	-----	----	----	----	----	----	----	-----

وعلى هذه التفعيلة والبحر بيت الشعر السرياني:

ساغي شقللت كد كد طولنو لوخ يوهوبو، ومعناه: أيها الوهاب عندما أنكرتك كنت في العذاب.
وتقطيعها الشعري:

بو	هو	يو	لوخ	نو	ليم	طو	كد	لث	شق	غي	سا
----	----	----	-----	----	-----	----	----	----	----	----	----

(١٢) ومثل هذا النظم الأمزوجة التي قيلت تحية لفائد الثورة السورية المغفور له سلطان باشا الأطرش:
سلطان يلي ما ربي مثلك ولدرايتك على روس الأعادي مرفوعة، وتقطيعها:

لد	و	لك	م	ث	ي	ر	ما	لي	يل	نو	طا	سل
----	---	----	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----

ومن اليونانية: tin gavrili kekti meni taxiarkhon
ومعناه: لتهض مع جبرائيل رئيس جوقة الملائكة، وتقطيعه:

Khon	ar	xi	ta	ni	me	ti	kek	il	ri	gav	ton
------	----	----	----	----	----	----	-----	----	----	-----	-----

وكذلك بيت الشعر الفرنسي:

Trainer des mers en mers ma chaine et mes enuis

ومعناه: تلكات من بحر إلى بحر بقيدي ومللي. وتقطيعه:

Lis	en	mes	et	chaine	ma	mers	en	mers	des	ner	Trai
-----	----	-----	----	--------	----	------	----	------	-----	-----	------

وأيضاً بيت الشعر الإسباني بذات الإيقاع والبحر:

Pu es tantos son los que siguen la passion

وتقطيعه الشعري:

Sion	pas	la	uen	sig	que	los	son	tos	tan	es	Pu
------	-----	----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	----	----

وأخيراً بيت الشعر الإنجليزي:

.From Death to Life thou mightest him get recover

ومعناه: من الموت إلى الحياة يمكنك أن تراه قد تعافى، وتقطيعه الشعري:

Ver	co	re	get	him	test	might	ghou	life	to	Death	From
-----	----	----	-----	-----	------	-------	------	------	----	-------	------

يقول زينون الفيلسوف الرواقى السوري (٣٣٦-٢٦٤) ق.م:

إذا كان موطنك فينيقياً، فإن هذا لا يحط من قدرك، ألم يأت قدموس من هناك، فأعطى الإغريق الكتب، وعلمهم فن الكتابة؟

ويقول ديودورس المؤرخ الصقلي الشهير، في القرن السابع للميلاد (١٢): إن استبطاط الكتابة يعود فضله إلى السريان. وكتب إقليميس الاسكندري في القرن الثاني للميلاد (١٣): ذهب كثيرون من القدماء إلى السريان هم الذين استبطوا الكتابة، يقول البحاث اللغوي إقليميس يوسف داوود ما نصه (١٤):

جاء في صحف اليونان القدماء، أنه في السنة ١٥٩٠ ق.م، وصلت إلى أرض اليونانيين، من بلاد القونيين (الفينيقيين)، التي يقال لها فونيفي (فينيقيا)، وهي أقصى أرض السريان غرباً، فئة من الشاميين، في مقدمها، رجل اسمه قدموس (قدموس)، وجلبت إلى هناك صناعة الكتابة، وصار اليونانيون منذ ذلك الزمان يكتبون بالحروف السريانية (السوريين)، بل أن اليونانيين حافظون، أسماءها السريانية بعينها، بالصيغة السريانية، دون سائر الأمم، التي نقلت الكتابة من السريان، ثم إن اليونانيين أبقوا الحروف على الصور التي كانت لها عند السريان، يوم تعلموها منهم.

ويقول الدكتور جاييس في كتابة تاريخ العصور القديمة (١٥) كان كلما وصل إلى يد تاجر سرياني (سوري)، أجر محفور، بالكتابة السامرية، تناول قلمه وعلق على بالسريانية، ما شاء تعليقه، وأما في دوائر الحكومة، فإذا كان الكاتب سريانياً، دون المحاضر، على ملف البردي، وإذا كان الكاتب آشورياً دون كاتبه بقلم مقصب على الأجر، وبالجملة فإن الحضارة السريانية خلقت في جميع الأماكن الشاسعة، التي انتشرت فيها آثاراً خالدة.

ويعبد... يا أم النور سوريا، يا ألف الحكمة وياهما، يا من اصطفاك العلي القدير، مهبطاً لوحيه وألواحه وأسفاره وكتبه، مكتوبة بأبجديتك السنية... (أولف بيت جومل دولت) أ ب ج د، والتي أضحت فيما بعد الأبجدية اليونانية (الفا بيتا جاما دلتا) ثم ABCD) أبجدية كل البلاد وأوروبا والغرب، فزيك كان البدء وكان الكلمة والكلمة كان الله... إيل إلاه، الإله، آلاه، ألوهو، الله، وعلى أرضك النورانية، في بابل (باب إيل) أي باب الله وبتنوي أوروك وغيرها، ركع أول مصل في الخليفة، يتهلل إلى خالقه، يصلي له ويرتل، تراتيل جلعاميش المحكمة النظم واللحن، محتتماً صلاته وترتيله، بأمين (استجب يا الله)، وهليلويا (هللو لله) التي يختم به صلاته، وترتيله، كل من يصلي لله على وجه الميمورة وذلك بتراتيل سرت في الدنيا، تعلم الإنسان في كل زمان ومكان، كيف يكتبها بأبجديتك كلمة، وينظمها شعراً، ويغنيها لحناً شجياً على وقع كثارة وعود وكيف يحيي أخاه الإنسان في كل زمان ومكان، بأشرف سلام هو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحياً (مار الله وحابا حب) أي الله محبة.

أنت يا أم النور سوريا... التي يحق لك أن تقول، إن شاعر الإلياذة هوميروس العظيم هو من مواطنيك، لأن أمير بالعربية السورية أي بالسريانية تعني أنشد قصيدة وغنى ومدح وأوس لائحة لغوية.

والى إحدى أرجائك في أرض الرافدين إلى بلاد كلدو كان يرحل حاجاً إليك يا كعبة العلم، كل قائد يوناني، ليتوج علومه بمرتبة كلدو العلمية (كلدو عالم بالفلك وعارف بالنجوم)، حتى يصبح جديراً، بأن يكون حاكماً لليونان في يوم من الأيام.

وإن سباق الماراثون الذي يقام في كل عام بأثينا ليس سوى رياضتك الأولى التي كانت تقام على أراضيها منذ فجر الزمان، وإن أصل الكلمة ماراثون يعود إلى الكلمة العربية الأرامية السريانية (مرهطون)... أي تركيض الناس. وها أن ابنك المسيح عليه السلام الذي يدعى أيضاً عمانوئيل أي (الله معنا)، ينادي ربه في قدس أقداسنا القدس حين كان الظالمون يعذبونه أواخر أيامه على الأرض قائلاً (إيلي إيلي لما شبعثاني) أي إلهي إلهي لماذا سبقتني إلى الجنة وتركتني وحيداً، وذلك بلسانك العبري الآرامي الأول لسان معلولا وصيدنايا وبخعا) اليوم... ولم يقل يهوه يهوه أو إيلوهيم إيلوهيم/ لم تركتني وحيداً. وجيرائيل أو جبريل (رجل الله ومرسله) كان يبلغ الأنبياء والصديقين ما يوحي الله إليهم، وكان يدعى رجل الله (جيرائيل)، ولهذا قلت في كتاباتي وكتبت على آلاتي الموسيقية المتكررة: هي أم النور سوريا مليكة الدنيا الطالعة منذ الأزل شمساً على ممالكها الجالسة حكمة وحسناً على عرش عروشها.

وإن كل كاتب وشاعر وموسيقي في هذا العالم مدين لسوريا بأبجدية كتابته وأوزان شعره وألحان موسيقاه.

دمشق ٢٠٠٥/٢/٦.

مراجع البحث:

- (١) الصفحة ٦٤ و(٢) الصفحة ٤٠ و(٣) الصفحة ١٨ و(٤) الصفحة ١٧ و(٦) الصفحة ٨١ و(٧) و(٨) الصفحة ٩٢ و(٩) الصفحة ٣٦ و(١٠) الصفحة ٨١ و(١١) الصفحة ٣٦ من كتاب ملحمة جلعاميش لظه باقر.
- (٥) الصفحة ٧٤ من كتاب السريان الأراميون للمطران جورج هافوري.
- (١٢) الصفحة ٨٧ و(١٣) الصفحة ٨٧ و(١٤) الصفحة ٨٦ و(١٥) الصفحة ٨٧ من كتاب عصر السريان الذهبي للفيكونت فيليب دو طرازي.

- مصدر الأبيات الشعرية الإنجليزية كتاب دراسات أكاديمية في الشعر الإنكليزي لمؤلفه محمد أحمد حنونة.

- مصدر الأبيات الشعرية السريانية كتاب الشعر عند السريان لمؤلفه ف ي دولباني.

- مصدر الأبيات الشعرية اليونانية كتاب التراتيل (الميناون) بإشراف المطران جوزيف عيسى.

- مصدر الأبيات الشعرية الكلدو آشورية كتاب التراتيل (الأشورية) بإشراف الأب كيفاركييس ناتاشيل.

- الأبيات الشعرية الفرنسية منتخبة من عدة دواوين شعرية فرنسية مترجمة.